

الوافي في الوفيات

تخُرُّ فيه المياه مطربةً ... كأنَّها في السماع ألحانٌ .
فأرضه روضةٌ مُذَوِّرةٌ ... دارتُ بها للرُّخامِ عُدرانٌ .
أو وَجَناتٌ عُرٌّ تلوح بها ... من سود تلك الفصوص خيلانٌ .
أوافقُ زُهْرُهُ أزهْرَهُ ... لكنَّها لؤلؤٌ ومَرجانٌ .
له جناحان من هنا وهنا ... زاداهُ حسناً بحرٌ وبستانٌ .
ذا ترقص السُّفْنُ في ذراه إِذا ... حُرِّكَ من ذا للورقِ عيدانٌ .
وقد بدت كالطاووس في حليل ال ... وشي سقوفٌ له وأركانٌ .
دارت عليه لحسنه وعلتُ ... فهي عقودٌ له وتيجانٌ .
كأنما قائمُ الرُّخامِ به ... في خدمة الجالسين غِلمانٌ .
أو حيدرٌ أُلِّفَتْ ونوَّعها ال ... راقمٌ حُسناً فهنَّ ألوانٌ .
أو شجرٌ أسبِلاتٌ خمائلها ... فما لها في العيان أغصانٌ .
أنشأه للأضياف مالكةٌ ... فكمَّ ل الحُسنِ فيه إحسانٌ .
يستقبل الوفد قبل رؤيته ال ... بِشْرٌ فقل جنةٌ ورضوانٌ .
فجاء فرداً كبيتته أَرَجاً ... كذكرهم مشرقاً كما كانوا .
أحيا عليٌّ آثارهم فيه ... بان سنا مجدهم وقد بانوا .
صدِّرٌ رحيبٌ وملتقى حَسَنٌ ... ونائلٌ كالغمام هتَّانٌ .
بنى فعلى لكن تقى وندى ... فلا وهي من علاه بُنيانٌ .
ودام يجني ثمارَ أنعمه ... فالشكر زورٌ والجود أفنانٌ .
وأنشدني أيضاً لنفسه إجازةً قال يرثي علاء الدين المذكور وكتب بذلك إلى ناصر الدين شافع رحمهم الله أجمعين :

أ أكبرُ أيُّ ظلِّ زالا ... عن آملية وأيُّ طَودِ مالا .
أنعى إلى الناس المكارم والندى ... والجود والإحسان والإفضالا .
أنعى علاءَ الدين صدرَ زمانه ... خَلِّقاً وخُلِّقاً بارعاً وجلالا .
ومهدِّباً ملأ القلوبَ مهابةً ... والسمعَ وصفاً والأكفَّ نوالا .
حاز الرئاسة فاغتنى فيها به ... أهلُ المفاخر تضرب الأمثالا .
وحوى من الآداب ما أضحي به ... أهل البيان على علاه عيالا .
طلقُ المحيِّباً لو يقابل وجهه ... الأنواءُ ظلَّ جَهاً هطَّالا .

متمكنٌ من عقله فكأنَّه ... قد شدَّ فيه عن الهنات عرقالا .
رحب الندى تُنسي بشاشةٌ وجهه ... ما زاده أوطانه والآلا .
طرقته أيدي الحادثات فزحزحت ... منهٌ مآلاً للعُفاة ومالا .
وسطتْ على الشرف الرفيع فقلَّمت ... عن ذلك الحرَم المنيع طلالا .
فُجِعَت يتامى من ذؤابة هاشمٍ ... أمسى أباً لهمٌ وإن يكُ خالا .
فقدت أيامهم بفقدِ عليٍّ هم ... وكذا اليتامى عَصمةً وثرَمالا .
ونضت ملاءةَ كلِّ مكرُمةٍ ضَفَّتْ ... عنها فعاد لباسُها الأسمالا .
وأعادت المجد المؤثَّلَ بَعْدَهُ ... كانا غديرَ حياً فعادا آلا .
من للسماحة والفصاحة بَعْدَهُ ... قولاً يقال وكان قبلُ فِعِالا .
من للوجاهة والنباهة بَعْدَهُ ... إن جال في نادي الندى أو قالا .
من للفتوة والمروءة أزمعا ... لمَّا تردَّ ل بَعْدَهُ التَّرحالا .
من للكتابة حين أضحى جيدُها ال ... حالي بَدُرُ رٍ بيانه مِعْطالا .
قد كان فارسها الذي بيراغهِ ... كم راع قبلُ أسنَّةً ونصالا .
وجوادَها إن رام سيقاً حازه ... فيها وقَرَطَسَ إن أراد نضالا .
وخطيبها ما أمَّ مَنبر كَفَّهِ ... قلمٌ فغادر للأنام مقالا .
من للبلاغة رامها من بَعْدِهِ ... كُلهٌ وكانت كالنجوم منالا